دور التراث الثقافي في تشكيل السيناريو السينمائي الجزائري بين الحفاظ على الهوية والاندماج العالمي

The Role Of Cultural Heritage in Shaping Algerian Cinematic Scenarios Between Preserving Identity And Global Integration.

تركي هوارية [1]✶، خرواع توفيق [2]

[1]جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس، الجزائر، مخبر النص المسرحي الجزائري جمع ودراسة في الأبحاث الفكرية والجمالية، الجزائر، haouariateurki@univ-sba.dz

[2]جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، الجزائر toufikkharoua@univ-sba.dz

تاريخ الاستلام: 2025/03/09 تاريخ القبول: 2025/05/14 تاريخ النشر: 2025/06/02

ملخص ملخص: تناولنا في هذه الورقة البحثية دور التراث الثقافي، وأهميته في تشكيل السيناريو السينمائي بين الحفاظ على الهوية والاندماج العالمي، والهدف من هذه الدراسة هو معرفة ما إذا وفق كاتب السيناريو في استلهامه لهذا التراث، من خلال توظيفه بطريقة سليمة في كتباته السينمائية للحفاظ على هويته الوطنية في ظل التطور العالمي.

كلمات مفتاحية: التراث الثقافي، السيناريو السينمائي، كاتب السيناريو،الهوية الوطنية، دور التراث الثقافي في السيناريو.

Abstract: In this paper we addressed the role of cultural heritage and its importance in shaping the cinematic script between identity preservation and global integration, the aim of this study is to find out whether the screenwriter succeeded in drawing inspiration from this heritage by employing it in a proper way in his cinematic writings to preserve his national identity in light of global development.

Keywords: Cultural heritage; film script; screenwriter; national identity; Role of Cultural heritage in the screenplay.

✶ المؤلف المرسل

1. مقدمة:

يلعب التراث الثقافي دورا محوريا في عملية تشكيل الهوية الوطنية لأي أمة من الأمم إذ يعد مصدر إلهام وإبداع لصناعة السينما.

على المستوى الوطني يتمتع هذا الأخير بمكانة خاصة نظرا لتنوعه وعمقه التاريخي الذي يجمع بين التأثيرات الأمازيغية العربية الإسلامية، والاستعمارية، يشكل هذا الموروث الثقافي الغني منبعا جد هاما للسينما الجزائرية، حيث يسهم في صياغة السيناريوهات التي تبرز خصوصية المجتمع الجزائري، إلى جانب أنها تعكس قضاياه وهويته

على ضوء ما سبق نطرح الإشكالية التالية:

– ما دور التراث الثقافي في تشكيل السيناريو السينمائي الجزائري بين الحفاظ على الهوية والاندماج العالمي؟

وقد انطلقنا من مجموعة من الفرضيات على أساسها سيكون موضوع هذه الدراسة، وهي كالتالي:

– مفهوم مصطلح التراث الثقافي.

– دور التراث الثقافي في السيناريو.

– الهوية الوطنية والاندماج العالمي في السينما الجزائرية.

وأما الهدف من هذه الدراسة هو الوقوف على دور التراث في تشكيل السيناريو السينمائي لأجل تعزيز هويتنا الثقافية، في ظل التقدم العالمي، إلى جانب دور كاتب السيناريو من كل هذا، لذلك اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي كونه الأنسب لهذه الدراسة.

2. ماهية التراث الثقافي.

يعتبر التراث الثقافي من المفردات التي عرفتها اللغة العربية منذ القدم، وهو مصطلح شائع ومتداول في الكتابات الأدبية العربية له دلالات وأبعاد مختلفة، وهذا ما يعده في وحدة الجدل التي تتسبب في إثارة الحوار بشأنه.

1.2 التراث الثقافي لغة:

كلمة التراث في لغة من الفعل "ورث"، يرث ورث ورثا وارثا وراثة وما يخلفه الميت لورثته، وقال تعالى: (وتأكلون التراث أكلا لما)[1]، وهو ما يخلفه الميت من مال فيورث عنه، والإرث هو الميراث وهو الأصل[2]، أما في موسوعة شيرمر السينمائية فالتراث الثقافي عبارة عن روايات واقتباسات تعود إلى فترة زمنية ما بعد الحرب[3].

وكلمة "ثقافي" مصدرها ثقف وهي جمع الثقافات العلوم والمعارف والفنون، ومجموعة ما توصلت إليه أمة أو بلاد في الحقول المختلفة من أدب، وفكر وفن وصناعة، وعلم ومجموع عادات وقيم[4].

أما التراث الثقافي **Cultural Heritage**، فهو إرث الخبرات التاريخية في مكوناتها الأساسية، والمتعلق بتطور الإنسان وفق معارف دائمة ومستقرة، والتي توارثها جيل بعد جيل، وكونت معظم ثقافته[5].

2.2 التراث الثقافي اصطلاحا:

التراث هو التراث هو المجموع الشامل للعناصر والتاريخ والممارسات، والتقاليد التي يُورثها الأشخاص والمجتمعات من جيل إلى جيل، وهو أيضا كل ما يعكس الهوية والطابع الفريد لمجتمعات معينة، بما في ذلك العادات والتقاليد واللغات، والقيم، يشكل التراث الثقافي جزءا هاما من الهوية الوطنية للشعوب والأمم[6] .

ويعطينا الدكتور "حسن حنفي" تصورا واضحا له، فهو يرى أنه مجموعة التفاسير التي يعطيها كل جيل بناء على متطلباته، خاصة وأن الأصول الأولى التي صدر منها التراث يسمح بهذا التعدد، لأن الواقع هو الأساس الذي تكونت عليه[7].

3. الهوية الوطنية.

إن أول ما ينبغي أن نبدأ به، هو الإشارة إلى أن ثمة ترابطاً وثيقاً بين التراث والهوية فلا هوية بدون تراث تستند إليه، ولا تراث لا يؤسس للهوية. فالتراث والهوية عنصران متلازمان من عناصر الذات، ومكونان متكاملان من مكونات الشخصية الفردية والجماعية.

إنّ كل أمة من الأمم لها تراث معلوم تعرف به، أو مجهول في حاجة إلى الكشف عنه، ولها هوية تتمّيز بها بين الأمم الأخرى، سواء أكانت عارفة بهويتها هذه، أم كانت جاهلة بها أم غافلة عنها.

والهوية عند الجرجاني في كتابه "التعريفات" هي : الحقيقة المطلقة، المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق[8]

وتستعمل كلمة **(هوية)** في الأدبيات المعاصرة لأداء معنى كلمة – (Identité ,Identity) التي تعبر عن خاصية المطابقة : مطابقة الشيء لنفسه، أو مطابقته لمثيله. وفي المعاجم الحديثة فإنها لا تخرج عن هذا المضمون، فالهوية هي: (حقيقة الشيء، أو الشخص، المشتملة على صفاته الجوهرية، والتي تميزه عن غيره، وتسمى أيضاً وحدة الذات).

ومن هذا المنطلق، فإن فهمنا للهوية ينبني على تراثنا الحضاري، فالهوية في ثقافتنا العربية الإسلامية، هي الامتياز عن الآخرون من النواحي كافة. ولفظ الهوية يطلق على معان ثلاثة: **التشخص، والشخص نفسه، والوجود الخارجي.**

وإذا ما اعتمدنا المفهوم اللغوي لكلمة **(هوية)**، أو استندنا إلى المفهوم الفلسفي الحديث، فإن المعنى العام للكلمة لا يتغّير، وهو يشمل الامتياز عن الغير، والمطابقة للنفس، أي

خصوصية الذات، وما يتميز به الفرد أو المجتمع عن الآخرون من خصائص ومميزات، ومن قيم ومقومات.

وعليه فإن الهوية الثقافية والحضارية لأمة من الأمم، هي القدر الثابت، والجوهري، والمشترك من السمات والقسمات العامة، التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات، والتي تجعل للشخصية الوطنية أو القومية، طابعاً تتميز به عن الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى.[9]

4. السيناريو.

السيناريو كلمة ايطالية عرفت في جميع اللغات الأوروبية بوصفها مصطلح تكنيكيا مسرحيا، وهي مشتقة من كلمة المسرح، وتعني كذلك خطة لقصة الفيلم مليئة بالتشويق تروى بالصور[10]، أو مخطط للحبكة (المشهد)، وهو أيضا ترتيب الحدث المسرحية والبالي والأبرا، أما في السينما فهو عبارة عن عملا أدبيا دراميا مخصصا للتجسيد على الشاشة، يتضمن على وصف مفصل للأحداث مع نص الحوار[11]، وعليه فإن السيناريو عبارة عن مستند سردي يصف ما سيتم تصويره، ويحتوي هذا المستند على حوارات ومشاهد[12]. والحقيقة أن السيناريو يزداد أهمية كلما تطورت السينما.

5. السيناريست:

السيناريست أو كاتب السيناريو **Script – Writer** وهو الرجل أو (المرأة) الذي يتولى تجزئة القصة إلى لقطات ومشاهد، وترقيمها، وترتيب تسلسلها[13]، وهو الشخص الذي يعمل على كتابة نص لفيلم سينمائي، أو حلقات مسلسل، وأحيانا يكون هو مؤلفه، فعمل كاتب السيناريو يكمن في وضع الكلمات على الورق، ورسم الشخصية، وتصويرها بوضوح، إلى جانب تحديد البناء القصصي والتيمات[14]

6. دور التراث الثقافي في السيناريو بين حفاظ على الهوية والاندماج العالمي:

إن الاهتمام بالتراث الثقافي من حيث البحث والتعريف به، والتعرف عليه وإخراجه، وإحيائه وصيانته يعد ضرورة ملحة في خضم الاتجاه الفكري والإيديولوجي الحضاري والسياسي، فهي عملية واعية ومسؤولة، ومنخرطة في العمل الوطني والقومي، وذلك في كون أن التراث محطة أساسية من محطات الهوية الوطنية، والذاكرة، والتاريخ والحضارة فالتراث هو قضية وطنية لأنها جزء من ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا.

على الرغم من التنوع والغنى الكبير والمخزون الهائل الذي تزخر به البلاد من تراث ثقافي منتشر عبر ربوع الوطن إلا أنها لم تتمكن بعد من استغلاله بالشكل الأمثل"، حيث تعاني من تراجع في توظيف التراث الثقافي في أعمال السينمائية الذي أصبح شبه غائب عن الأعمال الدرامية، والكوميدية وهذا ما سيؤثر سلبا على الثقافة والهوية الوطنية، إذ لم يتم تدارك الأمر في أقرب الآجال خاصة في ظل الانتشار الواسع للمواضيع الاجتماعية الداخلية من جهة، واتجاه الأعمال الكوميدية إلى الإنتاجات التجارية متناسين ما حققته الجزائر في السنوات الأخيرة في هذا المجال رغم قلة الإمكانيات.

كذلك عزوف كتاب السيناريو وعدم استغلالهم لهذه الثروة، وهذا بسبب تغير ذوق المشاهد مع مرور السنين، إلى جانب غزو القنوات الأجنبية والعربية لشاشة الجزائرية، ما خلق توجهات أخرى لاهتمام المشاهد، لكن هذا لا يعد لتجاهل التراث الشعبي في الكتابة خاصة أن الأعمال العربية أو حتى التركية، التي يتم اقتراحها على الشعوب العربية، لا تخلو من التراث الشعبي لمختلف الدول.. والدليل على ذلك، استمرار نجاح الدراما الصعيدية في مصر مثلا أو الشامية في سوريا، على غرار "باب الحارة" و"حارة القبة" وغيرها، وتقديمها

لعدة مواسم فاقت العشرة، بالرغم من المنافسة الشديدة للأعمال الدرامية المقترحة، إلا أنها حافظت على مضمونها وجمهورها في نفس الوقت، فحتى المتابع للأعمال التركية يلاحظ مدى ارتباطها بتراثها الشعبي وتاريخ إعلامها في إنتاجاتها الجديدة المخصصة للشاشة الصغيرة. لذا، فلا عذر أمام كتاب سيناريوهات لتوظيف تراثنا الشعبي الثري كـ"حيزية أو شعر بن قيطون و"سي محند اومحند" وقصة "خداوج العمياء"، وغيرها، بطريقة ذكية وعصرية تجمع بين الماضي والحاضر وتجعل من أعمالنا إنتاجات للترويج لتراثنا وثقافتنا من جهة، وقاعدة قوية لتقديم سيناريوهات بهوية جزائرية ورؤية إخراجية عصرية بدل حصرها في إسقاطات لا تتجاوز الجانب التقني أو المحتوى الدخيل على ثقافة الجزائرية.

أيضا هناك غياب للأعمال التاريخية، عن الشاشة. وسبب هذا الغياب راجع بالدرجة الأولى إلى الكتاب الذين لم يخصصوا حيزا من كتاباتهم للأعمال التاريخية الموجهة للشاشة، فالكتب التي تعني بالتاريخ الجزائر موجودة، لكن مشكلة تكمن في إعادة معالجتها لتصبح ملائمة لتجسيدها في شكل عمل سينمائي خاصة، وغم أن السينما مازالت وفية للتاريخ والتراث الثقافي، والدليل على ذلك، استمرار الجزائر في إنتاج أعمال في السياق، على غرار الأعمال الثورية المختلفة، ، مثل "لالة فاظمة نسومر" لبلقاسم حجاج، "العربي بن مهيدي" لبشير درايس أو "سي محند أو محند" لعلي موزاوي، لكن المسلسلات التلفزيونية المعالجة للتاريخ الجزائري تقريبا منعدمة، خاصة في السنوات الأخيرة لنقص الاهتمام بها من طرف المنتجين، وعدم وجود سيناريوهات قابلة للتجسيد.. ولهذا، أدعو الجميع إلى تضافر الجهود من أجل إعادة بعث هذا النوع من الأعمال التي توثق تاريخنا وتضعه في مقدمة الإنتاجات التي من شأنها تربية النشء.[15]

4. خاتمة:

يعتبر التراث الثقافي مصدرا مهما لدى كتاب السيناريو والمخرجين وحتى المنتجين، حيث أصبحوا يوظفونه في مختلف أعمالهم السينمائية، إذ يعطونه رموزا حضارية، واقتصادية بالإضافة إلى الاجتماعية.

حيث تعتبر المادة التراثية بما تحمله من زخم معرفي وثقافي، وفني وأدبي أهم رافد يتكئ عليه صناع الفن المعاصر عموما، فباعتباره نتاج حقبة زمنية ماضية فهو يعكس سياقات فكرية تتنوع بين الفلسفية ، والدينية واللغوية، والأدبية، مما قد يحقق صيرورة الانفتاح على أزمنة لاحقة تخلقها عقول تعي بضرورة تأصيل بالعودة إلى التراث

توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

- التراث الثقافي هو الهوية الوطنية.
- يعد التراث الثقافي مصدر من مصادر للكتابة السيناريو.
- غياب التراث الثقافي في كتابة السينمائية

التوصيات:

- تدريب صناع الأفلام من منتجين ومخرجين وكتاب السيناريو في مجال التراث لاستثمار كافة الإمكانيات المتوفرة في إنتاج أفلام من التراث.
- توظيف التراث في عملية كتابة السيناريو أفلام.
- ربط بين التراث والهوية الوطنية.
- ضرورة إدماج التراث الوطني في العمل السينمائي.
- ضرورة الاستعانة بأهل الاختصاص والخبرة والباحثين للحفاظ على التراث الثقافي والترويج له بطريقة الصحيحة.

5. قائمة المراجع:

- الآية 19 من سورة الفجر
- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ج2، دار صادر، ط2، لبنان، 1997، ص200.
- باري كيت جرانت، موسوعة السينما شيرمر، ج2، تر: أحمد يوسف، ط1، دمشق، 2015، ص915.
- المعجم العربي الأساسي للناطقين بالعربية ومتعلميها، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الطباعة لاروس، ص214.
- جان دوقينيو، فضاءات العرض المسرحي، تر: أ. د. حماده إبراهيم، مركز اللغات والترجمة، أكاديمية الفنون، ص 10، د.ت.
- حسن حنفي، التراث والتحديد، موقعنا من التراث القديم، 2016، ص13.
- الشريف على بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت،1995، ص 257.

- الإسلام اليوم، مجلة دورية تصدرها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إبسيسكو، باللغات الثلاث، العربية، الانجليزية، الفرنسية، العدد 28، 2012)

- Séverine cuzin, assistee de Nora Schott, La rousse dictionnaire du cinéma, édition, octobre , 2001, p 1134,

– هاشم نحاس، الحياة السينمائية، مجلة فصلية تصدر عن وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة العامة للسينما، العدد 25، خريف 1985، ص 15.

- Marcie begleiter dixit, les clés pour écréer un story board, synopsis trlumvir, dixit édition, dixit synopsis et trlumvir, 2004, p52

– د. رجاء عبد الرازق الغمراوي، قواعد الإخراج بين النظرية والتطبيق، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، 2013، ص 214.

– رائد محمد عبد ربه وعكاشة محمد صالح، فن كتابة السيناريو، دار الجنادرية للإنتاج والنشر والتوزيع، عمان، 2008، ص 10.

– محمود بن شعبان، غياب التراث الشعبي، 12– 04– 2023، تاريخ الدخول 28– 2– 2025، https://www.echoroukonline.com ، 10:16 ساعة